

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث أنس - رضي الله عنه - "لا يتنين أحدكم الموت لضر أصابه.."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فعن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((لا يتنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي))<sup>(١)</sup> متفق عليه.

هذا الحديث أيها الإخوة أورده الإمام النووي رحمه الله - في باب الصبر، ووجه تعلقه بباب الصبر ظاهر، وذلك أن الإنسان حينما يتمنى الموت بسبب ضر نزل به فإن ذلك يكون على سبيل الجزع، فهو ما استطاع أن يتحمل ويصبر، ولذلك يتمنى الموت، ومن الناس من يعمد إلى وسيلة يجعل حدا فيها لحياته، فيتخلص من ألم الدنيا ونكدتها، وينتقل إلى عذاب الآخرة، إلا أن يعفو الله - عز وجل - عنه.

وقوله هنا: ((لا يتنين أحدكم)) عبر بالمعنى، والتمني إنما يكون للشيء الذي يكون مستحيلاً، أو بعيد الوقع، مثل: أن يتمنى الإنسان حينما يتقدم به السن أن يكون شاباً

**ألا ليت الشباب يعود يوماً \*\*\* فأخبره بما فعلَ المشيبُ**

فالإنسان لا يرجع مرة أخرى إلى شبابه بعد أن تجاوزه وفارقه، والشمس لا ترجع إلى الوراء، فهذا يقال له: تمنٌ، بخلاف الأمر القريب الواقع يقال له: ترجٌ، الإنسان يترجى حصوله لأن يقول: أرجو أن أكتسب مائة ريال هذا الأسبوع، أو هذا الشهر، وهذا أمر يسير وهو قريب المتناول، ويستطيعه الغني والفقير، لكن حينما يقول الإنسان: أتمنى أن أملك ملياراً وليس عنده شيء ومفلس، فإن هذه تكون أمنية بالنسبة إليه، وهكذا، فالمقصود: أن هذا الإنسان لم يحن أجله، ولا يمكن للإنسان أن يموت إلا إذا جاء الأجل، ولذلك فإن تطلبه للموت يعتبر من قبيل الأمنية، يتمنى أمراً أو يتطلب أمراً لم يحن وقته، فهو بالنسبة إليه أمنية، ولا يمكن لنفس أن تموت قبل الأجل الذي حدده الله - عز وجل - لها.

((لا يتنين أحدكم الموت لضر أصابه)) يعني: لشدة جزعه وما يجد فهو يفضل الموت على تلك الحياة، سواء كان هذا الضر مما يتأنى منه ببدنه، كالآلام، والأمراض البدنية، أو كان ذلك مما تتأنى به النفس، كالذي يصيبه الحزن الشديد، أو تنزل به مصيبة، أو يحصل له أمر يكرهه، حيث إنه كان معظمًا وله مراتب ورتب، ثم بعد ذلك بين غمضة عين وأخرى إذا هو يبعد عن كل شيء، فيحصل له لربما شيء من الاكتئاب، والحزن، والجزع، ونحو ذلك، وقد يكون ذلك بسبب ضغوطات مما يعافس في هذه الحياة، فتصيبه الهموم،

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (١٢١) برقم (٥٦٧١)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء

والتنورة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (٤/٢٠٦٤) برقم (٢٦٨٠).

والأمراض النفسية، فيتمنى الموت على الحياة، وقد يطلق الزوج زوجته أو يتزوج عليها فتسخط وتتمنى الموت على الحياة، وهكذا في كثير من الصور التي يجزع أصحابها.

((لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه)) سواء كان ضرًا حسياً في بدنـه، أو كان شيئاً معنوياً مما يكرهـه، فيؤثر عليهـ، وينغضـ راحتهـ، ويكرـ عيشهـ، وانظرـ كيفـ قيدهـ فيـ هذاـ الحديثـ قالـ: ((ضرـ أصابـهـ)) فإذاـ عرفـناـ هذاـ القـيدـ انـحلـتـ عـنـاـ إـشـكـالـاتـ كـثـيرـةـ؛ لأنـ الـعـلـمـاءـ يـخـلـفـونـ فيـ حـكـمـ تـمـنـيـ المـوـتـ، فـالـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـثـلـاـ خـيـرـهـ اللهـ عـزـ وـجـلـ فـاخـتـارـ الرـفـيقـ الـأـعـلـىـ، وـأـخـبـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـصـحـابـهـ أـنـ رـجـلـاـ خـيـرـهـ اللهـ فـاخـتـارـ ماـ عـنـدـ اللهـ، فـبـكـىـ أـبـوـ بـكـرـ الصـدـيقـ، وـعـرـفـ أـنـ الـمـرـادـ بـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـهـلـ هـذـاـ مـنـ تـمـنـيـ المـوـتـ؟ـ الجـوابـ: لاـ، النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـاـ تـمـنـيـ المـوـتـ لـضـرـ نـزـلـ بـهـ، إـنـماـ خـيـرـهـ رـبـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ بـيـنـ مـاـ عـنـدـهـ وـبـيـنـ الـبـقـاءـ فـاخـتـارـ ماـ عـنـدـ اللهـ عـزـ وـجـلـ فـقـطـ، وـإـلاـ فـهـوـ أـطـيـبـ النـاسـ عـيـشاـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـشـرـحـمـ صـدـرـاـ، وـأـزـكـاهـ نـفـساـ.

وكذلك ورد عن بعض السلف مثل الإمام أحمد رحمـهـ اللهـ لما ابـتـلـيـ وـحـبـسـ وـضـربـ وـأـوـذـيـ فيـ فـتـتـةـ خـلـقـ القرآنـ، ثم رـفـعـتـ الفتـتـةـ بـعـدـ ذـلـكـ، ثـمـ صـارـ يـقـرـبـ مـنـ الـخـلـيفـةـ، وـكـانـ الـخـلـيفـةـ يـتـمـنـيـ أـنـ يـلـتـقـيـ بـالـإـلـامـ أـحـمدـ، وـأـنـ يـجـلـسـ مـعـهـ، وـصـارـ يـطـلـبـهـ مـنـ أـجـلـ أـنـ يـجـلـسـ مـعـ اـبـنـهـ الصـغـيرـ، وـيـدـعـوـ لـهـ؛ رـجـاءـ حـصـولـ الـبـرـكـةـ فـيـ زـعـمـهـ، فـكـانـ الـإـلـامـ أـحـمدـ حـيـنـاـ كـانـواـ يـرـسـلـونـ إـلـيـهـ الـأـمـوـالـ، كـانـ يـرـدـهـاـ وـيـأـبـاـهـاـ وـيـقـولـ:ـ هـذـهـ أـشـدـ مـنـ ذـلـكـ،ـ يـعـنـيـ:ـ فـتـتـةـ السـرـاءـ أـشـدـ مـنـ فـتـتـةـ الـضـرـاءـ،ـ وـكـانـ مـنـ حـولـهـ يـقـولـونـ:ـ إـنـ هـؤـلـاءـ لـاـ يـقـبـلـونـ مـنـ ذـلـكـ،ـ أـيـ:ـ لـاـ يـقـبـلـونـ أـنـ تـرـدـ عـلـيـهـمـ عـطـيـاـهـمـ،ـ سـيـفـسـرـونـهـاـ بـتـقـسـيرـاتـ أـخـرىـ،ـ بـأـنـكـ لـاـ تـحـبـهـمـ،ـ وـلـاـ تـرـيـدـهـمـ،ـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ مـنـ التـقـسـيرـاتـ،ـ وـأـنـتـ لـاـ تـقـصـدـ هـذـاـ،ـ أـنـتـ تـقـصـدـ الـزـهـدـ وـالـنـقـشـ وـلـاـ تـرـيـدـ هـذـهـ الـأـمـورـ الـتـيـ تـتـبـادرـ إـلـىـ أـذـهـانـهـ دـائـمـاـ.

فالملـصـودـ أـنـ الـإـلـامـ أـحـمدـ كـانـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ يـقـبـضـ يـدـهـ،ـ ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ يـفـتـحـهـ،ـ يـقـولـ:ـ لـوـ أـنـ نـفـسيـ بـيـديـ لـأـطـلـقـتـهـ،ـ وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ كـانـ يـتـمـنـيـ المـوـتـ،ـ وـوـرـدـ عـنـ جـمـاعـةـ مـنـ السـلـفـ أـنـهـمـ تـمـنـواـ المـوـتـ فـكـيـفـ نـجـمـعـ بـيـنـ هـذـاـ وـبـيـنـ النـصـوصـ؟ـ

أـوـلـاـ:ـ النـصـوصـ مـحـكـمـةـ فـيـ كـلـ حـالـ،ـ لـاـ نـوـفـقـ بـيـنـ النـصـوصـ وـبـيـنـ أـفـعـالـ الـآخـرـينـ،ـ لـكـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ مـنـهـمـ تـعـدـ مـنـ قـبـيلـ الـمـخـالـفةـ؟ـ

الـجـوابـ:ـ لـاـ؛ـ لـأـنـ الـحـدـيـثـ مـقـيـدـ لـضـرـ نـزـلـ بـهـ،ـ مـعـنـيـ ذـلـكـ أـنـهـ يـجزـعـ،ـ أـمـاـ إـذـاـ كـانـ تـمـنـيـ المـوـتـ لـخـوفـ فـتـتـةـ،ـ نـحـوـ وـإـذـاـ أـرـدـتـ بـعـادـكـ فـتـتـةـ فـاقـبـضـنـيـ إـلـيـكـ غـيـرـ مـفـتوـنـ،ـ يـخـافـ الـفـتـتـةـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـيـ الـدـيـنـ،ـ فـإـذـاـ وـقـعـتـ الـفـتـنـ يـتـمـنـيـ الـإـلـانـسـانـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ دـوـنـ أـنـ يـلـبـسـهـاـ،ـ وـيـنـاطـخـ بـهـاـ،ـ فـهـذـاـ لـاـ إـشـكـالـ فـيـهـ،ـ وـهـذـاـ الـذـيـ تـمـنـاهـ الـإـلـامـ أـحـمدـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ،ـ أـيـ إـذـاـ كـانـ ذـلـكـ لـيـسـ عـلـىـ سـبـيلـ الـجـزـعـ وـالـتـسـخـطـ،ـ وـلـاـ فـقـدـ أـخـبـرـنـاـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ أـنـ خـيـرـ النـاسـ مـنـ طـالـ عمرـهـ وـحـسـنـ عـمـلـهـ،ـ وـأـنـ شـرـ النـاسـ مـنـ طـالـ عمرـهـ وـسـاءـ عـمـلـهـ<sup>(٢)</sup>ـ،ـ فـالـإـلـانـسـانـ إـذـاـ طـالـ عمرـهـ لـعـلـهـ يـسـتـعـتـبـ وـيـتـوبـ إـنـ كـانـ مـسـيـئـاـ،ـ وـإـنـ كـانـ مـحـسـنـاـ فـإـنـهـ يـزـدـادـ إـحـسـانـاـ،ـ تـصـوـرـ حـالـ اـثـيـنـ:ـ وـاحـدـ مـاتـ وـعـمـرـهـ سـبـعـ عـشـرـةـ سـنـةـ لـرـبـمـاـ لـمـ يـحـجـ أـوـ حـجـ مـرـةـ وـاحـدةـ،ـ وـاعـتـمـرـ مـرـةـ وـاحـدةـ،ـ

<sup>٢</sup> - أـخـرـجـهـ التـرـمـذـيـ،ـ أـبـوـابـ الـزـهـدـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ بـابـ ماـ جـاءـ فـيـ طـولـ الـعـمـرـ لـمـؤـمـنـ (٤/٥٦٦).

برـقـمـ (١٥٤٠)،ـ وـأـحـمدـ،ـ مـسـنـدـ الـبـصـرـيـيـنـ،ـ حـدـيـثـ أـبـيـ بـكـرـةـ نـفـيـعـ بـنـ الـحـارـثـ بـنـ كـلـدـةـ (٣٤/٥٨)ـ بـرـقـمـ (١٥٤٠).

وحسناته قليلة؛ لقصر العمر، بينما واحد مات وعمره تسعون سنة، حج خمسين حجة، وكل خمسة أيام يختتم ختمة، وصام رمضان ثمانين مرة تقريباً، فـأيـهـمـاـ يـأـتـيـ يومـ الـقـيـامـةـ وقدـ عـبـاـ منـ الـحـسـنـاتـ، لاـ شـكـ أـنـهـ الـذـيـ عـاشـ تـسـعـيـنـ سـنـةـ، فـهـوـ غـنـيـ ثـرـيـ بـالـحـسـنـاتـ بـيـنـماـ الـآـخـرـ لـيـسـ عـنـهـ مـنـهـ إـلـاـ قـلـيلـ، ولـذـلـكـ الـمـؤـمـنـ لـاـ يـتـمـنـيـ الـموـتـ إـذـاـ أـصـابـهـ مـرـضـ، وـلـاـ يـجـزـعـ لـسـوءـ مـاـ نـزـلـ بـهـ.

**كـفـىـ بـكـ دـاءـ أـنـ تـرـىـ الـموـتـ شـافـيـاـ \*** \* \* وـحـسـبـ الـمنـايـاـ أـنـ يـكـنـ أـمـانـيـاـ

هـنـاكـ أـكـثـرـ مـنـ إـنـسـانـ أـمـنـيـتـهـ الـموـتـ، يـوـجـدـ أـكـثـرـ مـنـ شـابـ مـنـ أـمـنـيـتـهـ الـموـتـ، حـالـةـ سـيـئـةـ تـحـلـ بـالـنـاسـ الـيـوـمـ.  
فـهـذـاـ لـاـ يـكـونـ لـمـؤـمـنـ أـيـهـاـ الـإـخـوانـ، خـلـفـ ذـلـكـ الـذـيـ قـالـ:

**أـلـاـ مـوـتـ يـبـاعـ فـأـشـتـرـيـهـ \*** \* \* فـهـذـاـ العـيـشـ مـاـ لـاـ خـيـرـ فـيـهـ

**أـلـاـ رـحـمـ الـمـهـيـمـنـ فـنـسـ حـرـ \*** \* \* تـصـدـقـ بـالـلـوـفـةـ عـلـىـ أـخـيـهـ

نسـأـلـ اللـهـ الـعـافـيـةـ.

وـكـمـاـ تـسـمـعـونـ الـآنـ عـنـ طـرـقـ يـسـمـونـهاـ مـوـتـ الرـحـمـةـ، يـمـوتـ إـلـيـسـانـ بـطـرـيـقـةـ لـاـ يـشـعـرـ فـيـهـ بـالـأـلـمـ، وـهـنـاكـ جـدـلـ  
يـدـورـ حـولـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ، وـهـلـ هـيـ سـائـغـةـ أـوـ لـاـ؟ـ يـحـدـثـ هـذـاـ فـيـ الـبـلـادـ الـغـرـبـيـةـ، هـنـاكـ مـنـ يـمـوتـ بـهـذـهـ الـطـرـيـقـةـ،  
وـيـشـتـرـيـ الشـيـءـ الـذـيـ يـمـوتـ بـهـ بـمـالـهـ؛ـ مـنـ أـجـلـ أـنـ يـتـخـلـصـ بـطـرـيـقـةـ لـاـ يـشـعـرـ فـيـهـ بـالـأـلـمـ، وـلـاـ يـرـىـ فـيـهـ الدـمـاءـ،  
أـوـ يـرـىـ فـيـهـ مـاـ يـكـرـهـ أـبـداـ، وـهـوـ جـالـسـ عـلـىـ سـرـيرـهـ يـمـوتـ كـأـنـهـ نـائـمـ، وـلـمـ يـعـلـمـ مـاـ يـفـضـيـ إـلـيـهـ، فـالـمـقـصـودـ:ـ إـذـاـ  
كـانـ وـلـابـدـ فـعـلـمـاـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـيـفـ نـقـولـ، ((فـإـنـ كـانـ لـابـدـ فـاعـلـاـ فـلـيـقـ: اللـهـمـ أـحـيـنـيـ مـاـ كـانـتـ  
الـحـيـاةـ خـيـرـاـ لـيـ))ـ لـأـنـكـ مـاـ تـدـرـيـ ((وـتـوـفـيـ إـذـاـ كـانـتـ الـوـفـةـ خـيـرـاـ لـيـ))ـ وـكـثـيرـاـ مـاـ تـظـلـمـ الدـنـيـاـ فـيـ عـيـنـ إـلـيـسـانـ،  
وـتـتـغـلـقـ فـيـ وـجـهـ الـأـبـوـاـبـ، وـتـتـقـطـعـ عـلـيـهـ الـأـمـالـ، فـيـ لـحـظـةـ اـحـتـدـامـ الـنـفـسـ، وـمـعـاـيـشـ الـأـلـمـ أـوـ الـمـصـبـيـةـ، فـيـظـنـ أـنـ  
ذـلـكـ هـوـ نـهـاـيـةـ الـمـطـافـ، فـيـتـمـنـيـ أـنـ يـمـوتـ، بـيـنـمـاـ يـمـكـنـ لـهـذـاـ إـلـيـسـانـ أـنـ يـبـدـأـ حـيـاةـ جـدـيـدةـ لـرـبـمـاـ تـدـوـمـ عـشـرـاتـ  
الـسـنـيـنـ، وـيـكـونـ أـسـرـةـ جـدـيـدةـ إـذـاـ كـانـتـ مشـكـلـتـهـ مـنـ أـسـرـتـهـ الـأـوـلـىـ، وـيـرـزـقـ بـأـوـلـادـ، وـكـمـ مـنـ إـلـيـسـانـ سـمـعـنـاـ بـهـ قدـ  
تـزـوـجـ بـعـدـ الـثـمـانـيـنـ، وـرـزـقـ بـذـرـيـةـ قـرـتـ بـهـمـ عـيـنـهـ، وـبـدـأـ حـيـاةـ جـدـيـدةـ.

إـلـيـسـانـ لـاـ يـدـرـيـ مـاـ هـوـ مـسـتـقـلـهـ؛ـ لـأـنـ الـأـحـوـالـ تـتـغـيـرـ، وـإـذـاـ نـظـرـتـ إـلـىـ إـلـيـسـانـ قـدـ نـقـدـ بـهـ الـعـمـرـ وـسـأـلـتـهـ عـنـ  
أـيـامـهـ السـابـقـةـ لـقـالـ لـكـ:ـ إـنـهـ مـرـ بـعـدـ حـالـاتـ كـانـ يـرـىـ فـيـهـ الـعـسـرـ، وـالـتـعـبـ، وـالـضـنـكـ فـيـ الـعـيـشـ، وـقـلـةـ ذـاتـ الـيدـ،  
وـكـانـ يـظـنـ أـنـ هـذـاـ هـوـ قـدـرـهـ الـذـيـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـجـاـزـهـ، وـلـنـ يـقـرـرـ لـهـ شـيـءـ سـوـىـ هـذـاـ، بـيـنـمـاـ تـغـيـرـتـ الـأـحـوـالـ،  
فـنـظـرـةـ إـلـيـسـانـ قـاصـرـةـ؛ـ حـيـثـ إـنـهـ مـحـجـوبـ عـنـ الـغـيـبـ، لـاـ يـدـرـيـ مـاـ الذـيـ يـكـونـ لـهـ فـيـ مـسـتـقـلـ حـيـاتـهـ، فـيـنـبـغـيـ  
عـلـىـ إـلـيـسـانـ أـنـ يـحـسـنـ ظـنـهـ بـالـلـهـ، وـأـنـ يـرـوـضـ نـفـسـهـ عـلـىـ الصـبـرـ دـوـنـ أـنـ يـتـسـخـطـ وـيـجـزـعـ، فـهـذـهـ الـحـيـاةـ مـجـبـوـلـةـ  
عـلـىـ الـكـدرـ وـالـآـلـامـ، إـنـ لـمـ تـقـعـ بـكـ الـمـصـائـبـ وـقـعـتـ فـيـمـنـ تـحـبـ، فـأـنـتـ لـابـدـ أـنـ تـعـاـيـنـ أـشـيـاءـ مـنـ الـكـدرـ، وـكـلـمـاـ  
طـالـ عـمـرـكـ كـلـمـاـ زـادـ كـدـرـكـ لـاـ شـكـ، روـضـ نـفـسـكـ عـلـىـ هـذـاـ، وـأـقـلـ ذـلـكـ أـنـ تـرـىـ أـحـبـاءـكـ يـمـوتـونـ الـوـاحـدـ بـعـدـ  
الـوـاحـدـ، وـأـنـتـ أـطـوـلـهـ عـمـراـ، فـإـذـاـ أـدـرـكـ إـلـيـسـانـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ هـاـنـ عـلـيـهـ ذـلـكـ، وـخـفـ أـثـرـهـ وـوـطـأـتـهـ عـلـىـ الـنـفـسـ،  
أـمـاـ أـنـ تـنـمـزـقـ الـنـفـسـ بـالـأـحـزـانـ، وـالـأـنـرـاحـ، وـالـأـلـامـ، وـيـدـعـوـ إـلـيـسـانـ بـالـلـوـيـلـ وـالـثـبـورـ فـإـنـ هـذـاـ لـاـ يـجـدـيـ عـنـهـ شـيـئـاـ.

نَسْأَلُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُشَرِّحَ صُدُورَنَا، وَأَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَضَالَاتِ الْفَتْنَ، وَأَنْ يَهْدِنَا جَمِيعاً لِمَا يُحِبُّ  
وَيُرْضِي، وَأَنْ يَرِينَا مَا تَقْرَبُ بِهِ أَعْيُنَنَا فِي ذَرَارِيْنَا وَمِنْ نَحْنُ، وَأَنْ يَصْلِحَ حَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا  
وَلِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ.